

العنوان:	ظاهرية ابن حزم (ت 456 هـ - 1064 م) وأثرها في آرائه في الإجتهد بالرأي والتعليل والتقليد : دراسة مقارنة
المؤلف الرئيسي:	اوانج، محمد زكي بن زكريا
مؤلفين آخرين:	الأمين، فضل الله(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2001
موقع:	المفرق
الصفحات:	1 - 267
رقم MD:	568889
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة آل البيت
الكلية:	كلية الدراسات الفقهية والقانونية
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الفلسفة الإسلامية ، الإجتهد بالرأي، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد ، ت 456 هـ. ، التراجم، المذهب الظاهري
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/568889

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

اوانج، محمد زكي بن زكريا، و الأمين، فضل الله. (2001). ظاهرة ابن حزم (ت 456 هـ - 1064 م) وأثرها في آرائه في الإجتهد بالرأي والتعليل والتقليد: دراسة مقارنة(رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة آل البيت، المفرق. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/568889>

إسلوب MLA

اوانج، محمد زكي بن زكريا، و فضل الله الأمين. "ظاهرة ابن حزم (ت 456 هـ - 1064 م) وأثرها في آرائه في الإجتهد بالرأي والتعليل والتقليد: دراسة مقارنة" رسالة ماجستير. جامعة آل البيت، المفرق، 2001. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/568889>

المفصل الأول

التعريف بالإمام ابن حزم :

فيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : حياته

اسمه

نسبه

مولده

أسرته ونشأته

وفاته

المبحث الثاني : حياته السياسية

المبحث الثالث : حياته العلمية، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : بداية طلبه العلم

المطلب الثاني : شيوخه

المطلب الثالث : تلاميذه

المطلب الرابع : الإمام ابن حزم بين المدح والذم

المطلب الخامس : مصنفاته

المبحث الأول : حياته

إسمه :

هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح^١ ، الأندلسي القرطبي^٢ ،
وكنيته أبو محمد ، الفقيه الظاهري ، العالم الحافظ ، صاحب التصانيف .

^١ محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي (ت ٤٨٨ هـ) ، جنوة المقتبس في ذكر ولاية
الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (د . ت) ، (د . ط) ، ص ٣٠٨ ، أحمد بن يحيى بن أحمد
بن عميرة الضبي (ت ٥٩٩ هـ) ، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكاتب العربي ،
١٩٧٦ ، (د . ط) ، ص ١٤١٥ ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، سير أعلام النبلاء ،
تحقيق جماعة من الأفاضل برئاسة الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة التاسعة ،
١٤١٣ هـ - ١٩٩٤ م ، ج ١٨ ص ١٨٤ ، عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) ، شذرات الذهب
في أخبار من ذهب ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، (د . ط) ، ج ٣ ص ٢٩٩ ، ابن بشكوال
، الصلة ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة
الأولى ، ١٩٨٩ م ، ج ٢ ص ٦٠٥ ، ياقوت الحموي الرومي (ت ٦٢٦ هـ) ، معجم الأئمة إرشاد الأريب
إلى معرفة الأئمة ، تحقيق د . إحسان عباس ، طبعة دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ،
١٩٩٣ م ، ج ٤ ص ١٦٥٠ ، إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ، البداية والنهاية ، دار الفكر ، بيروت ،
الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ، ج ٨ ص ٢٢٠ ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت
٧٤٨ هـ) ، تذكرة الحفاظ ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، طبعة دار الكتب العلمية ، ١٣٧٤ هـ ،
(د . ط) ، ج ٣ ص ١١٤٦ ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، لسان الميزان ، تحقيق
دائرة المعارف للأنظمة ، الهند ، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦ هـ -
ج ٤ ص ١٩٩ ، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) ، نفح الطيب من غصن الأندلس
الربطية ، تحقيق د . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٦٨ م ، ج ٢ ص ٥٥٢ ، عبد
الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١) ، طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ،
١٤٠٣ هـ ، ص ٤٣٥ .

^٢ الأندلسي نسبة إلى الأندلس ، وهي جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر ، طولها نحو الشهر في نيف وعشرين
مرحلة ، تغلب عليها المياه الجارية والشجر والتمر والرخص والسعة في الأحوال وعرض الخليج الخارج من
البحر المحيط قدر اثني عشر ميلاً ، أنظر ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ) ، معجم البلدان ، طبعة
دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، (د . ط) ، (د . ت) ، ج ١ ص ٢٦٢ .
والقرطبي نسبة إلى قرطبة ، بضم أوله وسكون ثانيه ، وضم طاء المهمله أيضاً والباء الموحدة ، وهي
مدينة عظيمة بالأندلس ، وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الأهل وسعة الرقعة . أنظر ياقوت الحموي ،
معجم البلدان ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ٣٢٤ . وقد استولى الكفار الآن على جميع بلاد الأندلس .

نسبه :

كان الإمام ابن حزم فارسي الأصل^١، وقد ذكر ابن حزم نفسه أنه ينتمي لأسرة فارسية، وكان جده الأعلى فارسيًا، ومولى يزيد بن أبي سفيان^٢، أخي الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان^٣، وعلى هذا فهو قرشي بالولاء، فارسي بالعنصر والجنس^٤.

وبهذا النسب ذكره أكثر المؤرخين الذين ترجموا لابن حزم الظاهري، ولكن حاول معاصره أبو مروان بن حيان^٥ التشكيك في نسبته إلى الفرس، ونفي ولائهم لبني أمية وادعى أنه من عجم لبلة^٦.

فقال ياقوت الحموي^٧ راويا عن أبي مروان : "وقد كان من غرائبه إنتماؤه لفارس

^١ انظر الذهبي، تذكرة الحفاظ، مصدر سابق، ج ٣ ص ١١٤٦، الحموي، معجم الألقاب، مصدر سابق، ج ٤ ص ١٦٥٠، ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج ٨ ص ٢٢٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج ١٨ ص ١٨٤، ابن المقري، نفح الطيب، مصدر سابق، ج ٢ ص ٥٥٢.

^٢ يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، أخو معاوية من أبيه، وهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنهم، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، ولما فتحت دمشق أمره عمر الخطاب عليها، وتوفي في الطاعون سنة ١٨ هجرية. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج ١ ص ٣٢٨-٣٣٠، ابن حجر العسقلاني، الإصالة، مصدر سابق، ج ٦ ص ٦٥٨.

^٣ معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، أمير المؤمنين، القرشي الأموي، وكان أحد الكتاب لرسول الله ﷺ، روى له عن النبي ﷺ مائة حديث وثلاث وستون حديثًا، وتوفي سنة ٦٠ هجرية، وكان عمره ٧٧ سنة. ابن حجر العسقلاني، الإصالة، مصدر سابق، ج ٦ ص ١٥١-١٥٤، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م، ص ١٩٤ - ٢٠٥.

^٤ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧ م، (د. ط.)، ص ٥٥١.

^٥ هو أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان، القرطبي، الشهير بأبي حيان، أموي الولاء، جده حيان مولى لعبد الرحمن الداخل، ولد في قرطبة سنة ٣٧٧ هـ، برز في ميدان التاريخ من مؤلفاته المقتبس في أخبار بلد الأندلس. عبد الرحمن علي الحجي، مقامة المقتبس في أخبار بلد الأندلس، دار الثقافة، بيروت، (د. ط.)، ١٩٦٥ م، ص ٣ - ٧.

^٦ لبلة بفتح أوله ثم السكون ولام أخرى، قصبة كورة بالأندلس، وهي شرق من لكثونية وغرب من قرطبة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج ٥ ص ١٠.

^٧ هو الأديب الأواحد شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي مولى عسكر الحموي، السفار النحوي الأخباري المؤرخ، وله كتاب الألباء، وكتاب الشعراء المتأخرين والقضاء توفي في ٢٠ رمضان سنة ٦٢٦ هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج ٢٢ ص ٣١٢ - ٣١٣.

واتباع أهل بيته له في ذلك بعد حقبة من الدهر ، تولى فيها أبوه الوزير المعقل في زمانه الراجح في ميزانه ، أحمد بن سعيد بن حزم لبني أمية أولياء نعمته لا عن صحة ولاية لهم عليه ، فقد عهده الناس خامل الأبوة ، مولد الأرومة من عجم لبلة ، جده الأدنى حديث عهد بالإسلام ، ولم يتقدم لسلفه نباهة ، فأبوه أحمد على الحقيقة هو الذي بنى بيت نفسه في آخر الدهر برأس رابية ، وعمده بالخلال الفاضلة من الرجاحة والمعرفة والدهاء والرجولة والرأي^١

وفي هذا الكلام تشم رائحة الحقد والحسد على ابن حزم ، ولعل ذلك لسبب تطاول لسان ابن حزم وقلمه على معاصريه في نقده إياهم ، فانه ليس أمامنا مجال للتشكيك في نسبته بعد أن ذكره ابن حزم نفسه ، لأنه أعرف الناس بنسبه ، مع أن كلام ابن حيان هذا مخالف لما قاله الفتح بن خاقان^٢ ، بأن ابن حزم قتيبة أئب وثنية مجد وحسب^٣.

ولا يمكن أن يكون المجد والحسب إلا لمن كانت أسرته مشهورة وعريقة ، وهذا المحل كاد أن يكون محل إجماع المؤرخين .

قال الإمام الحافظ الذهبي^٤ نقلا عن معاصر ابن حزم صاعد^٥ ، وهو يقول :
" والعلامة أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموي مولاهم
الفارسي الأصل الأندلسي القرطبي " .^٦

^١ أنظر : ياقوت الحموي ، معجم الألقاب ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٦٥٦ ؛ ابن بسام ، النخبة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق د . احسان عباس ، طبعة دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ج ١ ص ١٧٠ .

^٢ هو أبو نصر الفتح بن محمد بن خاقان القيسي الإشبيلي ، صاحب كتاب قلند العقيان ، جمع فيه من شعراء الغرب طائفة كثيرة ، مات سنة ٥٣٥ هجرية . ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٠٧ .

^٣ محمد أبو زهرة ، ابن حزم حياته وعصره - تراؤه وفقهه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د . ط) ، (د . ت) ، ص ٢٤ .

^٤ هو الإمام الحافظ ، مؤرخ الإسلام ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان قايماز التركماني ، ثم النمشقي ، ولد سنة ٦٧٣ هـ ، ولى تدريس الحديث بترية لم الصالح وغيرها ، من مصنفاته تاريخ الإسلام ، سير أعلام النبلاء ، توفي سنة ٧٤٨ هـ بدمشق . السيوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ٥٢١ - ٥٢٣ .

^٥ هو القاضي صاعد بي أحمد الجبائي الأندلسي توفي سنة ٤٦٢ هـ ، لم أقف على ترجمته .

^٦ أنظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ٨ ص ١٨٦ ؛ ابن المقرئ ، نفح الطيب ، مصدر سابق ، ج ٢ ص ٥٥٢ .

مولده :

ولم تختلف كلمة المؤرخين في تاريخ ولادته ، وذلك لأن الإمام ابن حزم عرّف وقت ولادته وعين بالشهر واليوم ، فقد ولد هذا الإمام في آخر يوم من أيام رمضان سنة ٣٨٤ هجرية ، وكانت ولادته في تلك الليلة بعد الفجر وقبل شروق الشمس .^١

وهذا هو ما كتبه الإمام ابن حزم الظاهري إلى القاضي صاعد حيث قال : " وكتب إليّ بخط يده أنه ولد بعد صلاة الصبح في آخر يوم من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة " .^٢

وهذا يدل على عناية أسرته بتاريخ ميلاد أحادها ، وذلك نوع من الرقي الفكري .^٣

أسرته ونشأته :

لقد قلنا سابقا أنه ينتمي لأسرة عريقة وذات مكانة عند الناس ، وكان أبوه وزيرا ، وعلى ذلك فكانت نشأته في بيت عز ومال وجاه عريض .

^١ انظر الحميدي ، جنوة المقتبس ، مصدر سابق ، ص ٣٠٨ ، الضبي ، بغية الملتزم ، مصدر سابق ، ص ٤١٥ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ٨ ص ١٨٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ج ٨ ص ١٢٢٠ ، ابن بشكوال ، الصلة ، مصدر سابق ، ص ٤١٥ ، ياقوت الحموي ، معجم الأکباء ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٦٥٠ - ١٦٥١ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ٢٩٩ ، محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥٥٢ .

^٢ ياقوت الحموي ، معجم الأکباء ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٦٥٠ - ١٦٥١ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ١٨٦ ، محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥٥٢ .

^٣ محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥١٥ .

فقال الإمام الذهبي رحمه الله : " نشأ في تنعم ورفاهية ، ورزق نكاه مفرطاً ، وذهناً سيالاً ، وكتباً كثيرة نفيسة ، وكان والده من كبراء أهل قرطبة ...^١ .

وقال الحافظ ابن كثير^٢ : " وكان من بيت وزارة ورياسة ، ووجاهة ومال وثروة^٣ .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني^٤ : " ونشأ في نعمة ورياسة ، وكان أبوه من الوزراء...^٥ .

ومع كونه ولداً لأحد كبراء قرطبة ، فإن ذلك لا يجعله غارقاً في ملذات الحياة وتنعماتها ، بل وجهه قصده وهمته إلى طلب العلم وأخلص النية في ذلك ، وأنه يطلب العلم لا لأجل متاع الدنيا وحطامها ، وإنما طلبه لأجل مرضاة الله .

فقد حصلت مناظرة بينه وبين أبي الوليد الباجي^٦ الفقيه المالكي ، فقال له الباجي : " أنا أعظم منك همة في طلب العلم ، لأنك طلبته وأنت معان عليه ، فتسهر بمشكاة الذهب ، وطلبته وأنا أسهر بقنديل السوق " ، فقال له ابن حزم : " هذا الكلام عليك ، لا لك ، لأنك إنما طلبت العلم وأنت في هذا الحال رجاء تبديلها بمثل حالي ، وأنا طلبته في حال ما تعلمه وما ذكرته ، فلم أرج به إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة " .^٧

^١ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ١٨٧ .

^٢ هو الإمام المحدث الحافظ ، عماد الدين ، أبو الفداء ، إسماعيل بن عمر بن كثير القيسي البصري ، ولد سنة ٧٠٠ هجرية ، من مصنفاته تفسير القرآن العظيم ، والبداية والنهاية ، وتخریج أحاديث مختصر ابن الحاجب ، مات في شعبان سنة ٧٧٤ هجرية . السيوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ٥٣٤ .

^٣ ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ج ٨ ص ٢٢٠ .

^٤ هو شيخ الإسلام شهاب الدين ، أبو الفضل ، أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، ولد سنة ٧٧٤ هـ ، برع في الحديث وتقدم في جميع فنونه ، مؤلفاته كثيرة أشهرها فتح الباري شرح صحيح البخاري ، توفي في ذي الحجة سنة ٨٥٢ هـ . السيوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ٥٥٢ - ٥٥٣ .

^٥ لمسان الميزان ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٩٩ .

^٦ هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد لتجيبي القرطبي ، فقيه مالكي كبير من رجال الحديث ، وتولى القضاء ، وتوفي بالمرية سنة ٤٧٤ هـ ، ومن كتبه المنتقى شرح الموطأ ، وأحكام الأصول . إبراهيم بن علي الشهير بابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩) ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، تحقيق د . محمد الأحمد أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ، ص ١٢٠ .

^٧ ابن المقرئ ، نفح الطيب ، مصدر سابق ، ج ٢ ص ٥٥١ ، أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥٥٢ .

وقد نشأ هذا الإمام في هذا البيت المليء بالنعم والرفاهية ، وكان أبوه يعطي اهتماما بالغاً في تربيته ، وكانت بداية نشأته على أيدي النساء من الجواري والقريبات ، وهن اللاتي يعلمنه الكتابة ورواية الشعر والخط ، يروي لنا الإمام نفسه هذه القصة في كتابه طوق الحمامة قائلا : " لقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري ، لأنني ربيت في حورهن ، ونشأت بين أيديهن ، ولم أعرف غيرهن ، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب ، وحين تقيل^١ وجهي ، وهن علمنني القرآن ، وروينني كثيرا من الأشعار ، ودربنني في الخط...^٢ " .

ولم يكن هؤلاء النساء يعلمنه فقط ، بل كنّ حارساته حريصات عليه ، يمنعه من أن يقع في فتنة أحد في غرارة الصبا وحدة الشباب ، فقال راويا ذلك : " وإني كنت وقت تاجج نار الصبا وشرة الحداثة ، وتمكن غرارة الفتوة مقصورا محظرا علي بين رقباء ورقائب ، فلما ملكت نفسي وعقلت صحبت أبا علي الحسين بن علي الفاسي^٣...^٤ " .

ثم بعد ذلك تبدأ المرحلة الجديدة في حياته ، وهي مرحلة التحصيل العلمي ، وهذه المرحلة تبدأ بصحبته رجلا تقيا حصورا يلزمه ، لأن أباه كما قلنا سابقا شديد الاهتمام بنشأته وتربيته ، فكان يجلسه في مجلس الشيوخ يستمع إليهم ويتلقى عنهم ، وذلك الرجل هو أبو علي الحسين بن علي الفاسي ، وسأتكلم بإسهاب أكثر في المطلب الثالث عن بداية طلبه للعلم .

^١ تقيل من الفيل : بالكسر ، جمعه أخيل وأفيول وفيلة ، وهي بهاء ، تقيل النبات : اكتمل ، والشباب : زاد ، وفلان : ممن . محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ، القاموس المحيط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، باب اللام ، فصل الفاء ، ج ٢ ص ١٣٧٩ .

^٢ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأنطلسي (ت ٤٥٦ هـ) ، طوق الحمامة في الألفة والآلاف ، تحقيق د . الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ص ٦٨ .

^٣ مستأني ترجمته عند ذكر شيوخ ابن حزم .

^٤ ابن حزم ، طوق الحمامة ، مصدر سابق ، ص ١٥٥ .

وفاته :

ذهب كثير من المؤرخين إلى أن الإمام ابن حزم توفي في شهر شعبان سنة ٤٥٦ هجرية في بادية لبلة ^١.

وقد نقل صاعد عن ابنه أبي رافع ^٢ (أن أباه توفي رحمه الله عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة ، وكان عمره رحمه الله إحدى وسبعين سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوما) ^٣.

^١ انظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ٢١١ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ٢٩٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ج ٨ ص ٢٢٠ ؛ ابن المقرئ ، نفح الطيب ، مصدر سابق ، ج ٢ ص ٥٥٢ .

^٢ سنائي ترجمته عند ذكر تلامذته .
^٣ ابن بشكوال ، الصلة ، مصدر سابق ، ج ٢ ص ٦٠٦ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ٢١١ ؛ ابن المقرئ ، نفح الطيب ، مصدر سابق ، ج ٢ ص ٥٥٣ ، واقتوت الحموي ، معجم الأقباء ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٦٥٠ - ١٦٥١ .

المبحث الثاني : حياته السياسية

كان بيت ابن حزم مواليا لخلفاء بني أمية ، فجدّه الأعلى مولى ليزيد بن أبي سفيان كما قلنا سابقا ، وكان أبوه وزيرا من وزراء الخليفة الأموي ^١.

ولكنه انصرف وترك السياسة عندما اضطربت الأمور في قرطبة ، وذلك في سنة ٣٩٨ هجرية ، فانتقل إلى غربي قرطبة واستوطن هناك إلى أن مات في سنة ٤٠٢ هجرية في وسط هذه الاضطرابات التي حدثت لسبب حدوث النزاع في البيت الأموي ^٢.

فأبوه ترك السياسة واعتزل الأمر لأنه لا يريد أن يناصر أحدا على آخر ، لأن النزاع إنما في البيت الأموي ، وهو وفي لهذا البيت ، وهكذا نرى الإمام ابن حزم ، فإنه وفي لهذا البيت الأموي ، ولم يقم بنصرة فريق على فريق كما فعله أبوه من قبل ، واستمر الأمر إلى أن استولى آل حمود على الأمر ^٣، وهم علويون ، وبينهم وبين البيت الأموي منازعات ومخاصمات منذ قديم الزمان ^٤.

ونتيجة ذلك أخذ آل حمود بالتتابع للأموي ومن ينتمي إليهم للقضاء عليهم ، أما ابن حزم وأسرته فانهم معروفون بولائهم الوفي للبيت الأموي ، ولذلك اتهمه والي المرية ^٥ بالعمل ضد العلويين لإعادة الحكم والسلطان للأمويين .

^١ هو أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم ، وكان وزيرا للخليفة الأموي المنصور محمد بن أبي عامر ، والخليفة المظفر الذي تولى الخلافة من بعده ، توفي أبو عمر في شهر ذي القعدة سنة ٤٠٢ هـ . أنظر ابن المقري ، نفح الطيب ، مصدر سابق ، ج ٢ ص ٥٥٦ - ٥٥٧ .

^٢ أنظر قصة النزاع والفتنة التي حدثت في البيت الأموي ، أحمد بن زيني دحلان ، تهذيب تاريخ الدول الإسلامية بالجدول المرضية ، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ص ٢٧٠ .

^٣ أنظر ما بين الأمويين والحمويين من النزاعات ، ابن المقري ، نفح الطيب ، مصدر سابق ، ج ١ ص ٤٨٢ وما بعدها .

^٤ محمد أبو زهرة ، ابن حزم ، مرجع سابق ، ص ٣٨ ، محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥٥٢ .

^٥ اسمه خيران مياتي .

^٦ المرية بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء بنقطتين من تحتها ، وهي مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ج ٥ ص ١١٩ .

وقال ابن حزم راويا لنا هذه القصة : " وظهرت دولة الطالبية ، وبويع ابن حمود الحسنى المسمى بالناصر^١ بالخلافة ، وتغلب على قرطبة وتملكها ، واستمر في قتاله لجيوش المتغلبين والثوار في أقطار الأندلس ، وفي إثر ذلك نكبني خيران^٢ صاحب المرية ، إذ نقل إليه من لم يتق الله عز وجل من الباغين - وقد انتقم الله منهم - عني وعن محمد بن إسحاق^٣ صاحبي أنا نسعى في القيام بدعوة الدولة الأموية فاعتقلنا عند نفسه شهرا ، ثم أخرجنا على جهة التغريب ، فصرنا إلى حصر القصر ، ثم ركبنا البحر قاصدين بلنسية^٤ عند ظهور أمير المؤمنين المرتضى عبد الرحمن بن محمد^٥ وساكناه بها^٦ .

ونتيجة لاستيلاء العلويين على الأمور في قرطبة وسقوط سلطان الأمويين اتهم بالخيانة وتم اعتقاله ثم التغريب ، وهذه الأمور تركت أثارا عميقة في نفسه ، ولكنه لم يعتزل الأمر ، بل أخذ يتجه إلى بلنسية لمناصرة المرتضى عبد الرحمن بن محمد الأموي للمطالبة على السلطة .

^١ هو علي بن حمود بن ميمون بن أحمد الإندلسي ، يتصل نسبه بسيدنا الحسن السبط رضي الله عنه ، بويع علي بن حمود سنة ٤٠٧ هـ ، وتلقب بالناصر لدين الله ، ومكث إحدى وعشرين شهرا ، مات مقتولا سنة ٤٠٨ هـ . الضبي ، بغية الملتئم ، مصدر سابق ، ص ٢٧ ؛ أحمد زيني دحلان ، تهذيب تاريخ الدول الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

^٢ وهو مولى صفلي من موالى المنصور بن أبي عامر ، حكم المرية من سنة ٤٠٣ - ٤١٩ هـ ، لعب دورا هاما في الأحداث السياسية ، وبعد زوال العامريين وسقوط الخلافة أخذ يحظه من التركة ، أنظر أخباره في ابن المقري ، نفح الطيب ، مصدر سابق ، ج ١ ص ص ١٤١ ، ١٦٢ ، ٤٤١ ، ٤٨٥ - ٤٨٧ ، و ج ٢ ص ص ٢٣٧ ، ٢٧٤ - ٢٧٧ .

^٣ هو أبو بكر محمد بن إسحاق المهلبى الإسحاقى ، كان صديقا ودودا لابن حزم ، وقام بمرافقته عندما ترك قرطبة بعد أن نهبها البربر ، وكان وزيرا من أهل الأدب والفضائل . الضبي ، بغية الملتئم ، ص ٦١ الحميدى ، جذوة الملتئم ، مصدر سابق ، ص ٤٤ .

^٤ بلنسية السنين مهمل مكسورة وباء خفيفة ، كورة ومدينة مشهورة بالأندلس ، متصلة بحوزة كورة تسمى وهي شرقي تسمى شرقي قرطبة ، وهي برية بحرية ذات أشجار وأنهار . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ج ١ ص ٤٩٠ .

^٥ هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن لناصر الأموي ، بايعه خيران وغيره سنة ٤٠٨ هـ ، ولقبوه المرتضى ، وحدث قتال بينه وبين أهل غرناطة المواليين لعلي بن حمود ، وانهزم المرتضى وعسكره ، وقتل في هذه الهزيمة ، وكان عمره أربعين سنة . أنظر علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٢٠ هـ) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق مكتب التراث ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، ج ٥ ص ٦٢٠ .

^٦ ابن حزم ، طوق الحمامة ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

وهنا نستطيع أن نقول أن ابن حزم اعتزل الأمر في بدايته ، وذلك لسبب النزاع الذي حدث في ذلك الأمر انحصر في البيت الأموي ، أما بعد استيلاء آل حمود على السلطة فإنه لعب دوره وأخذ يحمل على عاتقه مسؤولية إعادة الحكم إلى البيت الأموي .

أما بالنسبة للتهمة الموجهة إليه من قبل خيران والي المرية ، فإنها على الأقل تهمة صحيحة ، وذلك فإنه ظهرت منه المجاهرة بالميل إليهم وإن لم تأخذ هذه المجاهرة صورة الدعوة ، والدليل على ذلك يؤخذ من ميله للأمويين واعتباره ولايتهم ولاية شرعية وتلقيه لهم دائما بإمرة المؤمنين ، وفوق ذلك ليس في كلامه السالف ذكره ما يدل على عدم صحة التهمة ، بل ربما فهم منها صحتها لأنه وصف الذين بلغوا عنه بأنهم من الباغيين أي الخارجين عن سلطان الوالي الشرعي ، فهو إذن يعتبر من والوا آل حمود خارجين عن الولاية الشرعية^١.

ثم انضم ابن حزم إلى جيش عبد الرحمن المرتضى ، ناصرته وعاونته في سبيل إعادة الحكم والسلطان إلى ذلك البيت ، ولكن الأمر لم يستمر طويلا ، لأن عبد الرحمن هذا لم يكن عنده جنود أشداء ، ولم يكن عنده من الأمصار ما عند ابن حمود ، وليس له من الحيلة والتدبير ما عند ابن حمود ، ولذلك دبر الأمر لاغتياله^٢.

وحينذاك أصاب ابن حزم ما يصيب كل مهزوم ، وقع في يد أعدائه ، فقد أسر ، واستمر في الأسر مدة ثم فك أساره^٣.

وكان من الأجدر له أن يترك الأمور السياسية ويعتزل هذا الأمر ويتفرغ للعلم ، لأن إسهامه في نشر الإسلام والدفاع عن شبهات النصاري والرد عليهم وإبطال دعاوهم كانت جليلة ونافعة جدا ، بدلا من انغماسه في هذا الأمر الذي لم يجلب إلا المصائب والبلاء والضغائن له ولأسرته .

^١ أبو زهرة ، ابن حزم ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

^٢ محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٤١٩ .

^٣ محمد أبو زهرة ، ابن حزم ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

ولكنه يعود ثانيا إلى السياسة عندما يرى ضعف أمر آل حمود ، الذي أخذ يضعف شيئا فشيئا حتى ثار أهل قرطبة على علي بن حمود الحسني وخلعوه ، وانتفخوا على رد الأمر إلى بني أمية ، واختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار^١ وبايعوه في رمضان سنة ٤١٤ هجرية ، ولقبوه بالمستظهر^٢.

وأخذ ابن حزم الوفي للبيت الأموي بمناصرتة ، ولعل ولاء أسرته للأمويين الذين كانوا سببا في انغماسه في التمتع والثراء منذ صباه يجذبه إلى مناصرتهم والسعي إلى إعادة الحكم والسلطة إليهم .

وكان وزيرا للمستظهر عبد الرحمن بن هشام ، قال الياقوت الحموي : " كان ابنه الفقيه أبو محمد وزيرا لعبد الرحمن المستظهر بالله بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، ثم لهشام المعتمد بالله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر^٣ " .^٤

ولكن الأمر لم يدم طويلا ، وقد حدث له في هذه المرة ما حدث له مع عبد الرحمن بن محمد المرتضى ، وذلك أن هشاما هذا قد خلع من الملك من قبل الجند سنة ٤٢٢ هجرية ، وهو آخر الأمويين بالأندلس ، وبخلعه انتهت الدولة الأموية من الأرض .

^١ بوبع في ١٣ من شهر رمضان المبارك سنة ٤١٤ هـ ، وكان عمره حينئذ ٢٢ سنة ، وتلقب بالمستظهر بالله ، فكانت ولايته شهرا واحدا و ١٧ يوما ، مات مقتولا في تلك السنة . انظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مصدر سابق ، ج ٥ ص ٦٢٣ ؛ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، دار الجيل ، بيروت ، ومكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة عشرة ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٧ م ، ج ٣ ص ١٧٥ و ١٩٥ .

^٢ انظر قصة ولاية المستظهر وعود بني أمية إلى قرطبة : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مصدر سابق ، ج ٥ ص ٦٢٣ ؛ الحميدي ، جنوة المقتبس ، مصدر سابق ، ص ٢٥ - ٢٥ ؛ محمد أبو زهرة ، ابن حزم ، مرجع سابق ، ص ٤١ .

^٣ هو هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الأموي ، ويكنى بأبي بكر ، أخو الخليفة المرتضى السابق ، وكان لمن منه ، بوبع بالخلافة في ربيع الأول سنة ٤١٨ هـ ، وتلقب بالمعتمد بالله ، إمتاز عهده بكثرة الفتن والاضطرابات ، خلع سنة ٤٢٢ هـ ، وبوبع أمية بن عبد الرحمن مكانه . انظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مصدر سابق ، ج ٥ ص ٦٢٧ ؛ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٣ ص ١٩٥ .

^٤ ياقوت الحموي ، معجم الأنباء ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٦٥١ .

وقد جاء قصة خلعه في نفح الطيب : " خلعه الجند سنة ٤٢٢ هجرية ، وفر إلى لاردة ^١ ، فهلك بها سنة ثمان وعشرين ، وانقطعت الدولة الأموية من الأرض ، وانتثر سلك الخلافة بالمغرب ، وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف ، وانتزى الأمراء والرؤساء من البربر والعرب والموالي بالجهات وانقسموا خطتها " ^٢.

وانقطعت الأسرة الأموية من الأرض على أساس أنها حاكمة تحكم على أنها خلافة ، وكان انقطاعها مؤديا بآبن حزم إلى الانصراف المطلق إلى العلم ، وإلى اليأس من أن يكون له أو لأسرته سلطان من بعد ، وأن الأول كان خيرا محضاً للإسلام ، وأما الثاني فقد أوجد اليأس مع اعتلال جسمه يؤسا نفسيا ، وتبرما بالناس فكانت الحدة التي تبدو في كتاباته ^٣.

^١ لاردة ، بالراء مكسورة والذال المهملة ، مدينة مشهورة بالأنلس ، شرقي قرطبة ، تتصل أعمالها بأعمال طركونة ، منحرفة عن قرطبة إلى ناحية الجوف ، ينسب إلى كورتها عدة مدن وحصون تذكر في مواضعها .
^٢ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ج ٥ ص ٧ .
^٣ ابن المقرئ ، نفح الطيب ، مصدر سابق ، ج ٢ ص ٢٣٤ .
^٤ محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥٢٠ .

المبحث الثالث : حياته العلمية

المطلب الأول : بداية طلبه العلم :

كان والد الإمام ابن حزم رحمه الله شديد العناية بتربيته ، فقد بدأ الإمام مشواره في طلب العلم منذ نعومة أظفاره على أيدي النساء الجوارى اللاتي يقمن بتربيته وحراسته .

ويحكي لنا الإمام هذه الظاهرة في كتابه (طوق الحمامة) فقال : " ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري ، لأنني ربيت في حجورهن ونشأت بين أيديهن ولم أعرف غيرهن ، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب ، وحين تقبل وجهي ، وهن علمنني القرآن ، وروينني كثيرا من الأشعار ، ودرّبنني في الخط ، ولم يكن وكدي وإعمال ذهني مذ أول فهمي ، وأنا في سن الطفولة جدا ، إلا تعرف أسبابهن ، والبحث عن أخبارهن وتحصيل ذلك ...^١

ويبدو أن تربيته الأولى وتعليمه كاد أن يكون مقصورا على تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن ورواية الشعر ، ثم بدأ بعد ذلك بمرحلة جديدة من حياته ، وهي مرحلة التحصيل العلمي والتردد على مجالس العلماء والأخذ عنهم .^٢

وانخرط ابن حزم في أوليات المعارف من فقه ولغة وأدب ، وقد بدأ ينمي صداقاته مع فتيان من سنه ، وكذا أخذ في التردد إلى كبار الأساتذة في قرطبة يلقنونه العلوم ويتلقى منهم .^٣

وظل الإمام ابن حزم طوال هذه الفترة من عمره يشغله الأدب ودراسته وعلوم الفلسفة وغيرها ، قال الإمام الذهبي : " وكان قد اشتهر أولا في الأدب والأخبار والشعر وفي

^١ ابن حزم ، طوق الحمامة ، مصدر سابق ، ص ٦٨ .

^٢ جودي صلاح الدين الننتمة ، حجة القياس الأصولي عند ابن حزم الظاهري وأثره في الفقه ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٦م ، ص ١٥ .

^٣ عبد الغفار سليمان البنداري ، مقدمة المحلى بالآثار لابن حزم ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٩٨ م ، ج ١ ص ٥ .

المنطق وأجزاء الفلسفة ، فأثرت فيه تأثيراً ليته سلم من ذلك ...^١

وقد كان رحمه الله يجيد إنشاء الشعر قبل أن يبلغ الحلم ، حكى ذلك عن نفسه

فقال :

وفي المذهب الذي عليه الناس أقول من قصيدة قلتها قبل بلوغ الحلم ، أولها :

دليل الأسى نار على القلب تطفح ودمع على الخدين يحمي ويسفح
إذا كتم المشغوف سر ضلوعه فإن دموع العين تبدي وتفضح
إذا ما جفون العين سالت شؤونها ففي القلب داء للغرام مبرح^٢

أما دراسته الحديث ، فقد سمعه من شيوخ قرطبة وغيرها ، وذلك لأن الإمام ابن حزم رحمه الله كان كثير الترحال في بلاد الأندلس بسبب ما لقيه من معاناة وضغوط لأسباب سياسية وغيرها ، وكان (أول سماعه من أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور^٣ ، وكان ذلك قبل الأربع مائة)^٤ . كما أنه درس الموطأ لإمام دار الهجرة مالك بن أنس^٥ رحمه الله ، وصاحب الفقيه حافظ المغرب ابن عبد البر المالكي^٦ .

(أما الفقه فقد تأخر طلبه ، وتفيد بعض الروايات أنه طلب الفقه وهو ابن ست وعشرين سنة ، أي بعد طلبه للحديث بعشر سنين ، وفي هذا بعد ،)^٧ وذلك أن ابن حزم قد درس كتاب الموطأ ، وهو كتاب حديث وفقه .

^١ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، المصدر السابق ، ج ٨ ص ٥٤٠ .

^٢ ابن حزم ، طوق الحمامة ، المصدر السابق ، ص ٢٣ .

^٣ ستاتي ترجمته عند ذكر شيوخ الإمام ابن حزم .

^٤ الحميدي ، جذوة المقتبس ، المصدر السابق ، ص ٣٠٨ .

^٥ هو أبو عبد الله مالك بن أنس ، وصاحب المذهب المالكي ، ثاني المذاهب الأربعة ، ولد على الأصح سنة ٩٣ هجرية ، مات رحمه الله في سنة ١٧٩ هـ ، ودفن بالقيع إيفاقاً . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ٨ ص ٤٨ ؛ عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، (د . ط) ، ج ١ ص ٢٨٩ .

^٦ هو الإمام الحافظ أبو عمر ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي ، ولد سنة ٣٦٨ هجرية ، وولى قضاء أشبونة مدة ، له من الكتب التمهيد شرح الموطأ ، والإستنكار ، وبيان فضائل العلم وأهله ، توفي سنة ٤٦٣ هجرية عن عمر ٩٥ سنة . انظر الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ص ١١٢٨ - ١١٣١ ؛ السبوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ص ٤٣١ - ٤٣٢ .

^٧ نور الدين عتر ، ابن حزم وأثره في المذهب الظاهري ، مجلة هدي الإسلام ، العددان الثالث والرابع ، المجلد ٣٩ ، السنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م ، ص ٢٨ .

ويحكى هنا أن سبب تحوله الحاد هذا من دراسة الأدب وفنونه من شعر وقصص وغراميات وغيره إلى التعمق في الفقه وأصوله ، والحديث وفنونه على ما ينسب إليه أنه أخطأ في صلاة الجنازة على شخصية هامة ، فكان موضع سخرية الحاضرين ^١.

ولسنا في صدد تحقيق هذه القصة ، إلا أنه قد حدث تحول في حياته العلمية من الأدب إلى دراسة الفقه والتعمق فيه حتى صار أجمع أهل الأندلس لعلوم الإسلام ، هذا كله قبل اشتغاله بالسياسة .

أما بعد اشتغاله بهذا الأمر ، وواجه ألوانا من الإضطهاد والترحيل ، فإنه لم تنقطع صلته بالعلم ، بل نجد الإمام ابن حزم مهما سافر إلى أي مكان فإنه يحاول أن يتصل بعلمائه ، وقد قص لنا في (طوق الحمامة) أنه حينما اعتقل بسبب وشاية الناس إلى خيران صاحب المرية ، سافر مع صاحبه محمد بن إسحاق على وجه التغريب إلى بلنسية ، وهناك التقى بأبي شاكراً ^٢ عبد الواحد القبري ^٣ ، وهو فقيه ومحدث وأديب ، وله الصحبة مع ابن حزم رحمهما الله .

هكذا كانت حياته ، فإن العلم قد أصبح في أول سلم حياته مهما كانت الظروف التي مرت به .

ثم جاءت الفترة الأخيرة من حياته العلمية ، ألا وهي فترة انصرافه التام إلى العلم ، ونبذه السياسة وما يعانیه من العذاب بعيداً عن نفسه .

^١ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ١٩٩ ، الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١١٥٠ ، البنداري ، مقدمة المحلي ، مرجع سابق ج ١ ص ٦ .

^٢ أبو شاكراً عبد الواحد بن محمد بن موهب القبري ، نسبة إلى بلدة قبرية ، وتقع جنوبي قرطبة ، وهو فقيه ومحدث وأديب وخطيب وشاعر ، نشأ بقرطبة وسكن شاطبة ، وولى الأحكام بها ، وتوفي رحمه الله سنة ٤٥٦ هـ . الضبي ، بغية الملتئم ، مصدر سابق ، ص ٣٩٢ - ٣٩٣ ، الحميدي ، جنوة الملتئم ، مصدر سابق ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

^٣ انظر : ابن حزم ، طوق الحمامة ، مصدر سابق ، ص ١٤٥ .

ففي هذه الفترة قام الإمام ابن حزم بتحصيل أكثر إنتاجه العلمي ، كما أنه قد خدم الإسلام خدمة عظيمة جلية بالرد على شبهات الملحدين والكافرين من اليهود والنصارى بحجج وبراهين قوية ^١.

وقد حصل بينه وبين أصحاب المذاهب مناظرات عديدة ، وكان يتغلب عليهم بتقافته الواسعة ، حتى قدم عليه أبو الوليد الباجي ، وجرى بينهما مناظرات طويلة ، ففضحه أمام الناس ، وانتصر عليه الباجي رحمهما الله .

جاء في لسان الميزان : " ولم يزل مستظهما إلى أن قدم أبو الوليد الباجي من العراق ، وقد توسع في علوم النظر ولقي الأئمة ، فناظر ابن حزم ، فاننصف منه " ^٢.

(وقد امتحن هذا الرجل وشدد عليه وشرد عن وطنه ، وجرت له أمور ، وقام عليه الفقهاء لطول لسانه واستخفافه بالكبار ووقعه في أئمة الاجتهاد بأفج عبارة وأفظ مجاورة وأبشع رد) ^٣.

ولقد جر عليه مزيدا من هذا العنت حدة لسانه إذ قلب عليه فقهاء عصره ، قال : " فلا تغالطوا أنفسكم ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه واللابسون جلود الضأن على قلوب السباع ، والمزينون لأهل الشر شرهم الناصرون لهم على فسقهم " ^٤.

فتمالأ عليه فقهاء عصره (وأجمعوا على تضليله ، وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ، ونهوا عوامهم عن الدنو منه ، فطفق الملوك يقصونه ويسيرونه عن بلادهم إلى أن انتهوا به منقطع أثره ، وهي بلدة من بادية لبلة ، وهو في ذلك غير مرتدع

^١ محمد أبو زهره ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ص ٥٥٦ - ٥٥٧ .

^٢ ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٩٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ج ٨ ص ٢٢٠ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ١٩٨ ؛ الذهبي ، تنكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١١٥٤ .

^٣ الذهبي ، تنكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١١٤٥ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ١٩٨ .

^٤ البنداري ، مقنعة المحلى ، المرجع السابق ، ج ١ ص ٨ .

ولا راجع ، بيث علمه لمن ينتابه من بادية بلده من أصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة)^١.

كما إنه قد تم إحراق كتبه علانية^٢ ، وفي شأن ذلك يقول الإمام ابن حزم منـددا هذا التصرف :

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي وينزل أين أنزل ويدفن في قبري
دعوني من إحراق رق وكاغد وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري^٣

ثم (أنه أوى بعد ذلك إلى مزارعه في ليلة ، واستمر بها يولف ويذاكر التلاميذ إلى أن مات)^٤ فرحمه الله رحمة واسعة .

المطلب الثاني : شيوخه :

إن الإمام ابن حزم تلقى العلوم المختلفة من جلة شيوخ عصره ، كما أنه سمع من أشهر المحدثين بقرطبة ، وسأذكر هنا عددا من شيوخه ومن استفاد منهم على سبيل المثال لا الحصر .

^١ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١١٥١ - ١١٥٢ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

^٢ أنظر قصة إحراق كتبه في : الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١١٥٢ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ١٨٧ - ١٨٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٩٩ ؛ محمد أبو زهرة ، ابن حزم ، مرجع سابق ، ص ٤٦ - ٥٢ .

^٣ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ٢٠٥ .

^٤ محمد أبو زهرة ، ابن حزم ، مرجع سابق ، ص ٤٨ - ٤٩ .

١. أبو علي الفاسي^١

إسمه أبو علي الحسين بن علي الفاسي ، ويكنى بأبي الحسين ، من أهل العلم والفضل ، مع العقيدة الخالصة ، والنية الجميلة ، لم يزل يطلب ويختلف إلى العلماء محتسبا حتى الموت .^٢

قال ابن حزم : " قلت له يوما : يا أبا علي ، متى تنقضي قراءتك على الشيخ ، وأنا حينئذ أريد سماع كتاب آخر ؟ ، فقال لي : إذا انقضى أجلي ، فاستحسنتها منه " .^٣

وهو أول شيخ لابن حزم ، وهو الشيخ الذي اختاره أبوه ليتولى تربيته ، وهو رجل نقي صالح .

قال الإمام ابن حزم عن شيخه هذا : " وكان أبو علي المذكور عاقلا عاملا عالما ، ممن تقدم في الصلاح والنسك الصحيح في الزهد في الدنيا ، والاجتهاد للأخرة ، وأحسبه كان حصورا ، لأنه لم تكن له امرأة قط ، وما رأيت مثله جملة علما وعملا ودينا وورعا ، فنفعتني الله به كثيرا ، وعلمت موقع الإساءة وقبح المعاصي ، ومات أبو علي رحمه الله في طريق الحج " .^٤

٢. أحمد الجسور^٥

وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الشهير بابن الجسور ، ويكنى بأبي عمر ، مولى لبني أمية ، كان واسع الثقافة في التاريخ ، حافظا للرأي والحديث ، أديبا شاعرا ، صديقا حميما لوالد ابن حزم .

^١ الضبي ، بغية الملتبس ، مصدر سابق ، ص ص ٦٢٢ - ٦٢٧ ؛ الحميدي ، جنوة الملتبس ، مصدر سابق ، ص ١٩٣ .

^٢ الضبي ، بغية الملتبس ، مصدر سابق ، ص ٢٦٧ .

^٣ الضبي ، بغية الملتبس ، مصدر سابق ، ص ٢٦٧ .

^٤ ابن حزم ، طوق الحمامة ، مصدر سابق ، ص ١٥٥ .

^٥ أنظر : الضبي ، بغية الملتبس ، مصدر سابق ، ص ص ١٥٤ - ١٥٥ ؛ الحميدي ، جنوة الملتبس ، مصدر سابق ، ص ١٠٧ .

وعمل ابن الجسور كاتباً للقاضي منذر بن سعيد ، وخلفه في خطة السوق ، وكان يعقد الوثائق دون أن يتخذ من ذلك مهنة له .

وهو أول شيخ درس عليه ابن حزم في مرحلة ما بعد التعليم الأولي ، سمع منه الحديث ، وكان ذلك قبل سنة ٤٠٠ هـ^١ ، وبهذا تبين لنا أن ابن حزم روى عن أحمد بن الجسور وهو ابن لم يبلغ السابعة عشرة من عمره .

وكانت وفاة الشيخ أحمد الجسور في قرطبة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي القعدة عام ٤٠١ هجرية بسبب الطاعون الذي اجتاح قرطبة في ذلك العام^٢.

٣. ابن الغرضي^٣

وهو الإمام الحافظ الحجة أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر القرطبي ، صاحب تاريخ الأندلس والمؤتلف والمختلف وغير ذلك ، ولد رحمه الله سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة^٤.

وكان فقيها عالماً بالحديث ورجاله ، بارعاً في الأدب والتاريخ ، وقد رحل من الأندلس إلى المشرق ، فحج وسمع من العلماء وأخذ عنهم ، وكتب من أماليهم ، وروى من شيوخ عدة من أهل المشرق ، وولى قضاء بلنسية^٥.

لقد أخذ عنه ابن حزم الفقه والحديث ، وكان ابن حزم معجباً بشيخه هذا في صدق علمه ومحافظته على الحقائق العلمية من أن يخلط بها غيرها بالباطل^٦.

^١ الضبي ، بغية الملتبس ، مصدر سابق ، ص ١٥٥ .

^٢ الضبي ، بغية الملتبس ، مصدر سابق ، ص ١٥٥ .

^٣ انظر : الذهبي ، تنكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١١٧٦ - ١١٧٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ج ٨ ص ١١٢ - ١١٣ ؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص

٤١٩ ؛ محمد أبو زهرة ، ابن حزم ، مرجع سابق ، ص ٧٨ .

^٤ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ٤١٩ .

^٥ المصدر السابق .

^٦ محمد أبو زهرة ، ابن حزم ، مرجع سابق ، ص ٧٨ .

توفي رحمه الله على أيدي البربر سنة ٤٠٣ هجرية يوم فتح قرطبة.^١

٤. الطلمنكي^٢

وهو الإمام الحافظ المقرئ ، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب بن يحيى المعافري الأندلسي ، عالم أهل القرطبة ، ولد سنة ٣٤٠ هجرية ، سكن قرطبة ورحل إلى المشرق.^٣

وكان رأسا في علم القرآن ، حروفه وإعرابه ، ناسخه ومنسوخه ، معانيه وأحكامه ، ذا عناية تامة بالحديث ومعرفة الرجال ، حافظا للسنن ، إماما عارفا بأصول الديانة ، سيفا مجردا على أهل الأهواء والبدع ، قامعا لهم ، وهو أول من أدخل علم القراءات إلى الأندلس.^٤

روى عنه ابن حزم وابن عبد البر ، توفي رحمه الله في ذي الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، وعمر حتى جاوز التسعين.^٥

وله تأليف جليلة ككتاب الدليل إلى معرفة الجليل مائة جزء ، وله كتاب في تفسير القرآن ، وكتابه في الوصول إلى معرفة الأصول ، وكتاب البيان في إعراب القرآن ، وفضائل مالك وغير ذلك.^٦

^١ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ٤١٩ ؛ محمد أبو زهرة ، ابن حزم ، مرجع سابق ، ص ٧٨.

^٢ نسبة إلى طلمنكة بفتح الطاء واللام والميم وسكون النون وفتح الكاف وهاء ساكنة ، مدينة بالأندلس من أعمال الأفرنج ، إختطها محمد بن عبد الرحمن بن الحكم . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ٣٩ .

^٣ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١) ، طبقات المفسرين ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ج ١ ص ٢٩ .

^٤ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ٤٢٤ ؛ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، مصدر سابق ، ج ١ ص ٣٩ - ٤٠ .

^٥ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ٤٢٤ .

^٦ شعبان محمد إسماعيل ، أصول الفقه تاريخه ورجاله ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

٦. مسعود الشنتريني^١

وهو مسعود بن سليمان بن مفلت الشنتريني^٢، ويكنى بأبي الخيار، وقد كان ظاهرياً، وله اختيار حسن في الفقه، ولقد قال فيه الضبي: "مسعود فقيه عالم ظاهري يميل إلى الإختيار والقول بالظاهر، ذكره أبو محمد بن حزم، وكان أحد شيوخه"^٣.

وكان رحمه الله يدرس في مسجد قرطبة الجامع، وقد تلقى عنه ابن حزم الفقه الظاهري، وأخذ يدرسان أصول المذهب الجديد. توفي رحمه الله سنة ٤٢٦ هجرية^٤.

المطلب الثالث : تلاميذه :

لقد تتلمذ له زمرة صغيرة من الطلبة الذين لم يخشوا فيه ملامة الفقهاء، وهؤلاء هم الذين نشروا فقه الإمام ابن حزم في الأفاق، ومن بين هؤلاء الطلبة :

١. المؤرخ الحميدي

هو الإمام الحافظ الثبت القدوة أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الحميدي، الأندلسي الميورقي^٥، ولد رحمه الله قبل سنة ٤٢٠ هجرية^٦.

^١ انظر : الضبي، بغية الملتئم، مصدر سابق، ص ٤٦٧؛ الحميدي، جنوة الملتئم، مصدر سابق، ص ٣٥٠.

^٢ الشنتريني نسبة إلى شنترين، هذه الكلمة مركبة من كلمتين هما شنت ورين، ورين بكسر الراء مبنية متصلة الأعمال بأعمال باجة في غربي الأندلس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج ٣ ص ٣٦٧.

^٣ الضبي، بغية الملتئم، مصدر سابق، ص ٤٦٧.

^٤ انظر : الضبي، بغية الملتئم، مصدر سابق، ص ٤٦٧؛ محمد أبو زهرة، ابن حزم، مرجع سابق، ص ٧٢ - ٧٣؛ البنداري، مقدمة المحلى، مرجع سابق، ج ١ ص ٧.

^٥ نسبة إلى مبورقة، بالفتح ثم الضم وسكون الواو والراء يلتقي فيه ساكنان وقف، جزيرة في شرقي الأندلس، وينسب إليها جماعة من العلماء. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج ٥ ص ٢٤٦.

^٦ الذهبي، تذكرة الحفاظ، مصدر سابق، ج ٤ ص ١٢١٨؛ الميوطي، طبقات الحفاظ، مصدر سابق، ص ٤٤٦؛ عبد الرحمن بن علي بن محمد الشهير بابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥٨ هـ، ج ٩ ص ٩٦.

وكان من كبار تلامذة ابن حزم ، سمع بالأندلس ومصر والشام والعراق والحرم وسكن بغداد ، وكان رحمه الله ورعا ثقة ، إماما في الحديث وعلمه ورواته ، متحققا في علم التحقيق والأصول على مذهب أصحاب الحديث بموافقة الكتاب والسنة ، متبحرا في علم الأدب والعربية .^١

قال الأمير ابن ماكولا^٢ : " لم أر مثل صديقنا الحميدي في نزاهته وعفته وورعه وتشاغله ... " .^٣

وقد كان سمع قديما من ابن حزم بمدينة ميورقة ، ويتعصب له ويميل إلى قوله ، فأصابته فيه فتنة ، ولما شدد على ابن حزم خرج الحميدي إلى المشرق ، وهو الذي تولى نشر علم الإمام ابن حزم في المشرق .^٤

صنف كتاب تاريخ الأندلس ، والجمع بين الصحيحين ، وجمل تاريخ الإسلام ، وكتاب الذهب المسبوك في وعظ الملوك وغيره .^٥

وتوفي رحمه الله في سابع عشر من ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، ودفن بمقبرة باب أبرز ، ثم نقل^٦ بعد سنتين فدفن عند بشر الحافي^٧ في مقبرة باب الحرب .

^١ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ٤٤٧ .

^٢ هو الأمير الكبير الحافظ البارح أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن علي ، ولد سنة ٤٢٢ هـ ، وسمع الكثير ، وكان من الحفاظ المتقنين ، وله من الكتب الإكمال في المؤلف والمختلف ، ومات مقتولا سنة ٤٨٥ هـ .
^٣ لو ٤٨٦ هـ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ج ٨ ص ٢٨١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، مصدر سابق ، ج ٩ ص ٧٩ .

^٤ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٢١٨ .

^٥ المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٢٢٠ .

^٦ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٢١٩ ؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ٤٤٧ .

^٧ وكان سبب ذلك أن الحميدي أوصى إلى الأجل مظفر أن يدفنه عند بشر الحافي ، فخالف وصيته ، فرأه في المنام بعد مدة يعاتبه ، فشرع الأجل مظفر بنقله إلى بشر الحافي . الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٢٢١ .

هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء المروزي ، أبو نصر ، الزاهد المعروف بالحافي ، ولد ببغداد سنة ١٥٠ هـ ، وسمع بها شيئا كثيرا من حماد بن زيد ، وابن المبارك ، وابن مهدي ومالك ، وأبي بكر بن عياش وغيرهم ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة في عبائته وزهادته وورعه ونسكه وتقشفه ، توفي رحمه الله ببغداد سنة ٢٢٧ هـ ، وكان يوم وفاته يوما مشهودا . الذهبي ، أحمد ابن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥ هـ ، ج ٨ ص ٣٣٦ - ٣٦٠ .

٢. ومنهم والد القاضي أبي بكر ابن العربي^١

وهو عبد الله بن محمد بن العربي ، وكان من العلماء الوزراء ، فصيحاً مفوهاً ، شاعراً ماهراً .

قال رحمه الله : " صحبت ابن حزم سبعة أعوام ، وسمعت منه جميع مصنفاًته سوى المجلد الأخير من كتاب الفصل وهو ستة مجلدات ، وقرأنا عليه من كتاب الإيصال أربعة مجلدات في سنة ست وخمسين وأربعمائة ، وهو أربعة وعشرون مجلداً ، ولي منه إجازة غير مرة^٢ ."

توفي رحمه الله بمصر في أول سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة هجرية ، فرحمه الله رحمة واسعة^٣ .

٣. وممن أخذ عنه أيضاً وقام بنشر علومه في الآفاق ابنه أبو رافع الفضل^٤ ، وآخر من روى عنه بالإجازة أبو الحسن شريح^٥ بن محمد الرعيني^٦ .

^١ هو العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي ، فقيه مالكي ، ولد سنة ٤٦٨ هـ ، ورحل إلى المشرق ، ولي قضاء إشبيلية ، فكان ذا شدة وسطوة ثم عزل ، ومن مؤلفاته عارضة الأحوذى بشرح سنن الترمذي ، وأحكام القرآن ، وشرح الموطأ وغير ذلك ، مات بفاس سنة ٥٤٣ هـ . الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٢٩٤ - ١٢٩٧ ؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ٤٦٨ - ٤٦٩ .

^٢ أنظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ١٩٩ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١١٥١ .

^٣ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٢٩٦ .

^٤ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١١٤٦ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ١٨٦ ؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ٤٣٦ .

^٥ لم أعثر على ترجمته .

^٦ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١١٤٦ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ١٨٦ ؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ٤٣٦ .

المطلب الرابع : الإمام ابن حزم بين المدح والذم

لقد تعرض الإمام ابن حزم لانتقادات كثيرة من العلماء ، سواء الذين عاصروه أم الذين جاؤوا من بعده ، وذلك نتيجة المنهج الذي انتهجه الإمام ابن حزم مما أدى به إلى القول بالظاهرية ، بجانب شذوذ بعض آرائه الفقهية ، ورده القياس والرأي مطلقا ، علاوة على تطاوله على الأئمة الكبار وفضاظة لسانه وقلمه .

ومع ذلك فقد اشتهر هذا الإمام بعلمه الغزير ، وثقافته الواسعة ، وقوة حفظه ، والذكاء المفرط ، والذهن المتوقد ، لقد أثنى عليه الحافظ الذهبي فقال : " وكان إليه المنتهى في الذكاء والحفظ ، وسعة الدائرة في العلوم " ^١.

ووصفه الحافظ ابن كثير بالحفظ والعلم فقال : " هو الإمام الحافظ العلامة أبو محمد

....." ^٢.

وقال الحافظ السيوطي ^٣ في ترجمته : " الإمام العلامة الحافظ الفقيه أبو محمد....." ^٤.

وقال القاضي صاعد : " كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة ، مع توسعه في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة والشعر ، والمعرفة بالسير والأخبار " ^٥.

^١ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١١٤٦ .

^٢ ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ج ٨ ص ٢٢٠ .

^٣ هو عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، الشافعي ، جلال الدين ، ولد سنة ٨٤٩ هـ ، ونشأ بالقاهرة يتيما ، توفي سنة ٩١١ هـ ، ومؤلفاته كثيرة لا تحصى في الفنون المختلفة ، ومنها الإتيان في علوم القرآن ، تدريب الراوي ، الجامع الصغير وجمع الجوامع في الحديث وغير ذلك . عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦٧ م ، ج ١ ص ١١٨٨ الزركلي ، الأعلام ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ٧١ .

^٤ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ٤٣٥ .

^٥ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١١٤٧ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٤ ص ١٨٧ .

وأحسن من أنثى عليه هو تلميذه الحميدي حين وصفه قائلاً : " كان أبو محمد حافظاً للحديث وفقهه ، مستتباً للأحكام من الكتاب والسنة ، متقناً في علوم جمة ، عاملاً بعلمه ، ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين ، وكان في الأدب والشعر نفس واسع وباع طويل ، ما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه ^١ .

كما مدحه حجة الإسلام الغزالي على مؤلفاته مما يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه فقال : " وجدت في أسماء الله تعالى كتاباً ألفه أبو محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه ^٢ .

وممن وصفه بغزارة العلم وحسن التأليف الشيخ عز الدين بن عبد السلام ^٣ حيث قال : " ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم والمغني للشيخ الموفق ^٤ .

ولقد صدق ابن حيان حين قال : " كان ابن حزم حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب ^٥ .

وبجانب هذا المدح الشديد في ابن حزم ، فإنه لم يخل من انتقادات وُذِمَ في حقّه ، وتكلم فيه بكلام جارح ، وممن شنَّع على ابن حزم أشدَّ التشنيع القاضي أبو بكر بن العربي ،

^١ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١٤٧-١٤٨ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ج ١٨ ص ١٨٧ - ١٨٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٩٩ .
^٢ المصادر السابقة .

^٣ هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ، عز الدين ، الملقب بسلطان العلماء ، فقيه شافعي ، بلغ رتبة الاجتهاد ، ولد سنة ٥٧٧ هـ في دمشق ، ومن مؤلفاته قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، توفي سنة ٦٦٠ هـ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ج ٩ ص ١١٩ ؛ ابن قاضي شهاب ، طبقات الشافعية ، مصدر سابق ، ج ٢ ص ١٠٩ - ١١١ .

^٤ هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، أبو محمد ، موفق الدين ، ولد سنة ٥٤١ هـ الفقيه الحنبلي ، من مؤلفاته المغني والمقنع والكافي في الفقه ، وروضة الناظر وجنة المناظر في الأصول ، وتوفي سنة ٦٢٠ هـ . عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) ، كتاب النيل على طبقات الحنابلة ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، (د . ط) ، (د . ت) ، ج ٤ ص ١٣٣ - ١٤٩ ؛ محمد بن شاذان الكتبي (ت ٧٦٤ هـ) ، فوات الوفيات ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، بمصر ١٩٥١م ، ج ١ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ .

^٥ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١١٥٠ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ١٩٣ ؛ ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٩٩ .

^٦ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١١٥١ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ١٢٠٠ ؛ ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٩٩ ؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ٤٣٥ .

وقد صنف في الرد على ابن حزم كتابا أسماه (الدواهي والنواهي) وكتاب (العواصم من القواصم) وقد رد عليه أحد أسباط ابن حزم في كتاب أسماه (الزوائغ والدوامغ)^١.

وقال القاضي ابن العربي : " وغرهم رجل كان عندنا يقال له ابن حزم ، انتسب لإبطال النظر وسد سبل العبر ، ونسب نفسه إلى الظاهر اقتداءً بدادود وأشياعه ، فسود القراطيس وأفسد النفوس ، واعتمد الرد على الحق نظما ونثرا^٢ ."

وعلى الرغم من ذلك ، فإن هذا لا ينقص من قدره شيئا ، ولا يحط من منزلته ، فإنه قد أتى عليه الكبار وشهد له بالتقدم والتضلع في علوم الإسلام ، قال الحافظ الذهبي : " وأبو بكر فعلى عظمته في العلم لا يبلغ رتبة أبي محمد ولا يكاد ، فرحمهما الله وغفر لهما^٣ ."

كما شهد له الإمام الحافظ الذهبي بالإجتهد فقال : " ابن حزم رجل من العلماء الكبار ، فيه أدوات الإجتهد كاملة ، تقع له المسائل المحررة والمسائل الواهية كما يقع لغيره ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ^٤ ."

وفي الختام أود أن أنقل كلام بعض الفضلاء^٥ حيث قال : " وظني أنه (أي العلامة الكوثري^٦) أبدى بعض قسوة في حق ابن حزم، فهؤلاء وإن لم يكونوا في عداد

^١ أنظر الذهبي ، تذكرة ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١١٤٩ ، النشئة ، حجة القياس الأصولي ، مرجع سابق ، ص ١٩ . وقال الأستاذ سعيد الأفغاني : " تتبع أبا بكر بن العربي في كتابه هذا سبط ابن حزم ، أحمد بن محمد بن حزم ، فجازاه فيه كلاما بكلام ، وحديثا بحديث ، وفقها بفقاه ، ونظما بنظم ، ونثرا بنثر ، وإقذاعا بإقذاع " . أنظر مقدمة ملخص إبطال القياس ، مرجع سابق ، ص ٩ ، الهامش رقم (١) .

^٢ محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ) ، عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي ، وضع حواشيه الشيخ جمال مرعشلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، ج ١٠ ص ٨٠ .

^٣ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ١٩٠ .

^٤ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١١٥٤ .

^٥ وهو الإمام الفقيه الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله .

^٦ هو محمد زاهد بن الحسن الحلبي ، العالم العلامة ، الناقد البصير ، الجركسي الأصل ، الحنفسي ، نزيل القاهرة ، ولد سنة ١٢٩٦ هـ ، كان ميّفا صارما أمام المجسمة المبتدعة ، وله العديد من المؤلفات في كشف عوارهم ، منها مقالات الكوثري ، مات في القاهرة سنة ١٣٧١ هـ . أحمد خيرى ، الإمام الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، (د . ط) ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ؛

من يعتد به في الإجماع ، أو يكون خلافه قادحا في صحة الإجماع فليسوا من المفسدين عمدا ، ولا خارجين من زمرة العلماء أبدا ، بل لهم يد طولية في العلوم الشرعية لا سيما في الحديث وعلمه ، وفي المعرفة بأقوال العلماء والفقهاء والمحدثين ، وأما ما صدر عنهم من سوء الاعتقاد في بعض المسائل فإما أن يكون من خطأهم في الاجتهاد جمودا على ظاهر ما ورد في بعض الأحاديث ، أو يكون ذلك مدسوسا عليهم في كتبهم ، فقل ما سلم عالم من الدس في كلامه ، والله تعالى أعلم بالصواب .^١

المطلب الخامس : مصنفاته :

كان الإمام ابن حزم عالما موسوعيا ومتقنا ، ولم يعرف تاريخ الأندلس قبل ابن حزم عالما جمع بين ضروب العلم المختلفة ما جمعه ابن حزم .

وكان رحمه الله يكثر من التصانيف^٢ ، تتضافر كل الروايات والأخبار على عظم منزلته العلمية وأنه من أكثر علماء الإسلام تصنيفا وتأليفا^٣.

وأخبر ولده الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تواليه أربع مائة مجلد تحتوي على نحو من ثمانين ألف ورقة^٤.

^١ العلامة الشيخ حبيب أحمد الكيرتوي ، قواعد في علوم الفقه على ضوء ما أفاده الإمام الفقيه الشيخ أشرف علي التهاتوي ، إعداد مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية ، بيروت ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م ، ص ٢٧٧ .

^٢ ابن المقرئ ، نفح الطيب ، مصدر سابق ، ج ٢ ص ٥٢٣ .

^٣ محمد أبو زهر ، ابن حزم ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

^٤ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١١٤٨ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ١٨٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ج ٨ ص ٢٢٠ ؛ ابن المقرئ ، نفح الطيب ، مصدر سابق ، ج ٢ ص ٥٢٢ .

وقد جاء في كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب : " له مصنفات كثيرة جليلة القدر ، شريفة القصد ، في أصول الفقه وفروعه بلغني عن غير واحد من علماء الأندلس أن مبلغ تصانيفه في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المخالفين نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة ، وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان في مدة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ^١ ، فإنه أكثر أهل الإسلام تصنيفاً " ^٢.

ولم يكن حظه في العلوم الإسلامية فقط ، بل أنه برع في العلوم العقلية كما كان في العلوم النقلية ، وله كتب كثيرة في المنطق والفلسفة ^٣ ، (عني بعلم المنطق ، وألف فيه كتاباً سماه كتاب التقريب لحدود المنطق ، بسط فيه القول على تبين طرق المعارف ، واستعمل فيه أمثلة فقهية وجوامع شرعية ، وخالف أرسطو ^٤ واضع هذا العلم في بعض أصوله ...) ^٥.

ومن أشهر مصنفاته ^٦ رحمه الله :

أولاً - في الفقه :

^١ هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، الإمام أبو جعفر ، رأس المفسرين على الإطلاق ، أحد الأئمة ، ولد بآمل بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ ، وتوفي سنة ٣١٠ هجرية ، له تصانيف كثيرة جليلة منها تفسير القرآن ، وتاريخ الأمم والملوك ، واختلاف العلماء ، وكتاب أحكام شرائع الإسلام وغيرها . ابن الجوزي ، المنتظم ، مصدر سابق ، ج ٦ ص ١٧٠ - ١٧٤ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٤ ص ٢٦٧-٢٨٢ ، السيوطي ، طبقات المفسرين ، مصدر سابق ، ج ٢ ص ٩٥-٩٧ .

^٢ الشيخ عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان وغيره ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٦٨ هـ ، ص ٤٦ - ٤٧ .

^٣ ابن المقرئ ، نفح الطيب ، مصدر سابق ، ج ٢ ص ٥٥٢ .

^٤ أرسطوطاليس ، هو أعظم فيلسوف ، جامع لكل فروع المعرفة الإنسانية في تاريخ البشرية ، يمتاز على أستاذه أفلاطون ببقية المنهج واستقامة البراهين والإستناد إلى التجربة الواقعية ، وهو واضع علم المنطق ، ومن هنا لقب بـ (المعلم الأول) و (صاحب المنطق) ، مات سنة ٣٢٢ ق.م. أنظر : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) ، الملل والنحل ، تحقيق أمير علي مها وغيره ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، ج ٢ ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .

^٥ القفطي في أخبار الحكماء ، نقلاً عن محمد أبي زهرة ، ابن حزم ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠ .

^٦ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ج ١٨ ص ١٩٣-١٩٧ ، الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١١٥٢ ، السيوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ٤٣٥ ؛ ابن التلمساني ،

نفح الطيب ، مصدر سابق ، ج ٢ ص ٥٥٢ - ٥٥٣ ؛ محمد أبو زهرة ، ابن حزم ، مرجع سابق ، ص ١٤٢ ، صديق بن حسن القنوجي (ن ١٣٠٧ هـ) ، أبجد العلوم الوشي المرفوم في بيان أحوال العلوم ، تحقيق عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د . ط) ، ١٩٨٦ م ، ج ٣ ص ١٤٧ ، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت ١٠٦٧ هـ) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د . ط) ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ، ج ١ ص ٧٠٤ .

- ١ . الإيصال إلى فهم كتاب الخصال .
- ٢ . المحلى بالآثار في شرح المجلى بالإنظار ، جرى فيه على مذهب أهل الظاهر .
- ٣ . حجة الوداع .
- ٤ . كتاب فيما خالف فيه أبو حنيفة ومالك والشافعي جمهور العلماء .
- ٥ . كتاب اختلاف الفقهاء الخمسة .

ثانيا - في أصول الفقه :

- ١ . مسائل في أصول الفقه .
- ٢ . الإحكام في أصول الأحكام .
- ٣ . النبذ في أصول الفقه ، وهو مختصر الإحكام السابق ذكره .
- ٤ . ملخص إبطال القياس والرأي والإستحسان والتقليد والتعليل .
- ٥ . قصيدة في أصول الفقه الظاهري .

ثالثا - في القرآن والسنة :

- ١ . الناسخ والمنسوخ .
- ٢ . كتاب في شرح حديث الموطأ والكلام على مسائله .
- ٣ . الجامع في صحيح الحديث باختصار الأسانيد .
- ٤ . تسمية شيوخ مالك .
- ٥ . مختصر في علل الحديث .

رابعا - في العقيدة ومقارنة الأديان :

- ١ . الدرّة فيما يلزم المسلم .
- ٢ . مسألة الإيمان .
- ٣ . شرح أسماء الله .

- ٤ . الفصل في الملل والأهواء والنحل .
- ٥ . إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل .

خامسا - في السيرة :

- ١ . السيرة النبوية .
- ٢ . كتاب الإمامة والخلافة في سير الخلفاء .

سادسا - في الفضائل والأخلاق :

- ١ . مداواة النفوس ونقط العروس .
- ٢ . المفاضلة بين الصحابة .

سابعا - في اللغة والأدب :

- ١ . بيان الفصاحة والبلاغة .
- ٢ . طوق الحمامة في الألف والالاف .
- ٣ . جمهرة أنساب العرب .

وغير ذلك من تواليف كثيرة ، ورسائل عديدة ، في فنون مختلفة ، (وهي بأسلوبها القوي ، وجودة ترتيبها وتدعيمها بالأدلة تدل على رسوخ قدمه في هذه الفنون ، وعلى وصوله إلى الغاية القصوى من دقة البحث والتحليل لجميع النظريات التي تعرض لها من علم الكلام والأصول ، وعلى حرية فكره في البحث لدرجة لم يألّفها علماء عصره ، مما كان سببا في نقدهم له ، وتحذير الأمراء والعامة منه ، وكانت نتيجة ذلك إخراجهم من قرطبة ، وظل بعيدا عنها إلى وفاته)^١.

^١ شعبان محمد إسماعيل ، أصول الفقه تاريخه ورجاله ، مرجع سابق ، ص ص ١٧٦ - ١٧٧ .